180549

دولة الإمارات العربية المتحدة
حكومة دبي

دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث

سلسلة
الدراسات الأصولية
(١٦)

منهج الاستدلال بالسنة في المذهب المالكي

تأسيس وتأصيل

تأليف
عواي الحسين بن الحسن الحين

المجلد الأول

دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م

كافة إصدارات الدار محكمة علمياً

دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث

الإمارات العربية المتحدة - دبي - هاتف: ٣٤٥٦٨٠٨، فاكس: ٣٤٥٣٢٩٩، ص.ب: ٢٥١٧١
الموقع www.bhothdxb.org.ae البريد الإلكتروني irhdubai@bhothdxb.org.ae

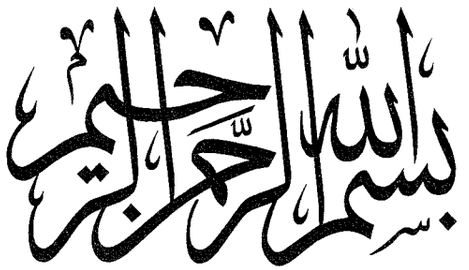

الافتتاحية

نستفتح بالذي هو خير ، حمداً لله ، وصلاةً وسلاماً على حبيبه ومصطفاه ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه ، وبعد :

فيسر دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث أن تقدم للباحثين والقراء كتابها السادس عشر في «سلسلة الدراسات الأصولية» تحت عنوان : «منهج الاستدلال بالسنة في المذهب المالكي - تأسيس وتأصيل»، وهو دراسة مستفيضة لمنهج المالكية وطريقتهم في الاستدلال بالسنة النبوية المطهرة ، باعتبارها الأصل الثاني من أصول التشريع الإسلامي وما يندرج تحته من مباحث مهمة تتعلق بهذا الأصل .

وهذا التقديم مقرون بالشكر والعرفان لأسرة «**آل مكتوم**» حفظها الله ، التي ترعى العلم ، وتشيّد نهضته ، وتحيي تراثه ، وتؤازر قضايا العروبة والإسلام ، وعلى رأسها **صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد بن سعيد آل مكتوم ، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي**، الذي أنشأ هذه الدار لتكون منار خير، ومنبر حق على درب العلم والمعرفة ، تجدد ما اندثر من تراث هذه الأمة، وتبرز محاسن الإسلام ، فيما سطره الأوائل وفيما يمتد من ثماره ، مما تجود به القرائح، في شتى مجالات البحوث الإسلامية ، والدراسات الجادة ، التي تعالج قضايا العصر، وتؤصل أسس المعرفة ، على مفاهيم الإسلام السمحة عقيدة وشريعة، وآداباً وأخلاقاً، ومناهج حياة ، مستلهمة الأدب القرآني ، في الدعوة إلى الله على بصيرة ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

وكذلك مؤازرة **سمو الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم ، نائب حاكم دبي ، وزير المالية والصناعة ، والفريق أول سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ، ولي عهد دبي ، وزير الدفاع .**

سائلين الله العون والسداد ، والهداية والتوفيق .

ولا يفوت الدار أن تشكر من أسهم في خدمة هذا العمل العلمي من العاملين بالدار ، وهو :

- مساعد باحث : الشيخ / سامح علي ناصر الناخبي، والذي قام بتصحيح الكتاب ، ومراجعة تجارب الطبع والتنفيذ .

ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يعين على السير في هذا الدرب ، وأن يتواصل العطاء من حسن إلى أحسن .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

دار البحوث

تقديم

إن رحلة أهل الغرب الإسلامي إلى الحرمين من التقاليد المألوفة القديمة، تحفز إليها عوامل عديدة؛ كأداء العبادة المفروضة والمسنونة، وكتلقي العلم، ونيل الإجازة، ورواية الحديث، وتبادل المؤلفات، وكشهود المنافع التجارية وغيرها .

وبالنسبة لرحلاتهم العلمية يقول العلاّمة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ) : «إن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم». (المقدمة: ٤٠٦-٤٠٧-دار المصحف مصر) .

وقد تعددت رحلات المغاربة والأندلسيين إلى الحرمين عبر قرون حضارتنا الزاهرة، وعهود تاريخنا الثقافي الحافل . فإذا تصفحت كتب التاريخ والتراجم تلاحظ كثرة الراحلين الذين ربطوا جسور العلاقة الفكرية، ودعموا أواصر الأخوّة بين المشرق والمغرب الإسلاميَين . ومنهم مَن دَوّن رحلته، فكانت سجلاً حافلاً، ووثيقة مهمة، تصف الحياة العلمية وتؤكد وحدة الهدف، وتصوّر مدى التعاون في خدمة الشريعة ونشر أحكامها .

وإذا طالعت «نَفْحَ الطِّيبِ من غُصْن الأندلس الرَّطِيب» للمؤرخ أبي العباس أحمد المقري (ت١٠٤١هـ) تجد الباب الخامس كله من هذا الكتاب مخصصاً للتعريف ببعض من رحل من الأندلس . وفي صدر هذا الباب يقول: «إن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال، ولا يَعْلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال» . (النفح٢/٥) .

وما زال الحرم المكي والحرم المدني يستقبلان الوافدين من الغرب الإسلامي لأغراض علمية؛ فمنهم طلبة يكرعون من مناهل المعرفة، ويستفيدون من مشيخة العلم والخير والدعوة والاصلاح .

ومنهم شيوخ وأساتذة يسهمون في إثراء الحياة العلمية والتيار الثقافي، ويواصلون التعاون في خدمة الشريعة والتعريف بأحكامها وأصولها .

نرجو أن يكون هؤلاء وأولئك من الطائفة التي نفرت لتتفقه في الدين، ولتنذر قومها إذا رجعت إليهم لعلهم يحذرون . ففي عصرنا تتأكد الحاجة - أكثر من كل وقت - إلى جهود طائفة الإرشاد والتجديد، حفظاً للدين ونشراً لأحكامه، وتعريفاً بمبادئه حتى تكون كلمة الله هى العليا .

والحرم المكي مهوى أفئدة المؤمنين، لاينقطع الوافدون إليه للحج والعمرة طيلة العام، ومن الوافدين من يزدوج عندهم غرض الرحلة إليه، فيشمل مع العبادة مآرب أخرى، لعل أهمها المأرب العلمي النبيل؛ حيث يتاح لقاء أهل العلم والحديث، وتتوفر مصادر المعرفة الشرعية .

وقد كان من دواعي سعادتي أن تهيأت لي في رحاب هذا الحرم المقدّس فرص التعرف على ثُلّة من الطائفة النافرة للتفقه، أحسبهم من الظاهرين على الحق، المجاهدين لنصرته، الحريصين على إثراء زادهم العلمي . كان منهم أخ مغربي فاضل يتقد حيوية ونشاطاً، ويفيض قلبه ولوعاً بعلوم الشريعة، وحرصاً على تزكية ملكته الفقهية، مُلِمٌّ بالتراث المالكي الذي أنتجته المدرسة المغربية والأندلسية، ساع لمزيد اكتشاف المصادر النادرة، متابع للبحوث المستجدة في مجال اختصاصه .

رحل إلى المملكة العربية السعودية منتدباً للتدريس بكلية التربية بالطائف التابعة لجامعة أم القرى، وذلك بعد مقابلة اختبارية كللت بنجاحه، وتوجت بالثقة في مستواه وخبرته . ورغم إقامته بالطائف قريباً من الكلية؛ فإن صلته بمكة كانت وطيدة جداً، يلتقي بمشيختها ، ويرتاد مكتباتها ونواديها العامة والخاصة، ويحضر مجالس مناقشة الأطاريح بكلية الشريعة وغيرها، ومجالس الفكر والعلم في بيوت بعض المشايخ، ويقوم في المواسم بمهمة الدعوة والإرشاد الديني الموجه إلى حجيج المناطق المغربية حتى يؤدوا المناسك كما شرعها الله . ومواكبة منه لحركة النشر وجديد الطباعة كان يقصد المكتبات التجارية، ولا يتخلف عن معارض الكتب، يلاحقها في كل مكان ليقتني ما يثري به مكتبته الخاصة .

هذا الأخ المغربي الفاضل هو مولاي الحسين بن الحسن بن عبد الله ألحيان التناني التغانميني الحسني الذي قدمه إلي منذ ست سنوات أول مرة أخونا العزيز الدكتور محمد السليماني الذي لن أنسى له هذا الفضل طيلة حياتي .

حذق كتاب الله تعالى ومبادئ العربية والفقه بمدرسة (تيغانمين) مسقط رأسه، والتحق بمعهد التعليم الشرعي الأصيل بمدينة تارودانت، مروراً بأحد فروعه المفتوحة في وجه حفظة القرآن الكريم . ولما حصل منه على شهادة ختم المتوسطة (البكالوريا) التحق بكلية الشريعة بأكادير، ثم واصل الدراسات العليا بعد التخرج منها مجازا بدار الحديث الحسنية بالرباط لمدة سنتين تُوِّجتا بالحصول على شهادة الدراسات العليا في العلوم الإسلامية . بعد ذلك انتظم بجامعة محمد الخامس بالرباط- كلية الآداب في نظام تكوين الأساتذة الجامعيين (سلك تكوين المكونين)، وبعد سنتين من الدراسة والبحث والتكوين عُيِّن

أستاذاً مساعداً بكلية الشريعة بأكادير، مع التكليف بتقديم رسالة علمية لنيل درجة الماجستير خلال سنتين أُخْرَيين، تُوّجت بحمد الله بمناقشة هذه الرسالة في يونيو ١٩٨٩م .

عرفت منذ لقائي الأول بالشاب الطموح الحسين ألحيان أن قضية مهمة من قضايا الاستدلال الفقهي لدى مجتهدي المالكية تشغل باله؛ هي قضية منهج الاستدلال بالسنة عند هؤلاء المجتهدين، يروم الغوص في بحثها، والتعمق في دراستها، وإلقاء ساطع الأضواء عليها، بعد أن ثار حولها التساؤل، وأصبحت مشكلة تتصل بمسائل أخرى كمسألة الدليل في الفقه المالكي، ومسألة مخالفة السنن في الاستنباط، ومسألة تخريج الفروع على أصولها ...، أسئلة عديدة مثلت جزئيات المشكلة، واستدعت بحثاً يسير الطالب الحسين في رحلته الطويلة الشيقة، ملبياً طموحاً قديماً نما في وجدانه عند ما كان يتدرج في مراحل دراسته الجامعية . هو طموحه في أن يسهم بدراسة جادة في تأصيل المذهب الذي يعتنقه، وهو السائد في ربوع الغرب الإسلامي منذ قرون؛ تأصيله من خلال البحث في تراثه الفقهي المستمد من السنة النبوية .

تجلت في ذهنه فكرة البحث، واتضحت مشكلته الداعية إلى حل يتمثل في نتائج، واستقر الرأي على أن يتخذ له هذا العنوان المعبِّر بدقة عن موضوع البحث ومقصده؛ وهو:

«منهج الاستدلال بالسنة في المذهب المالكي : تأسيس وتأصيل»

وتم تسجيل هذا الموضوع بهذا العنوان لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في الآداب من جامعة محمد الخامس في الرباط ـ كلية الآداب ـ (تخصص: القرآن

والحديث).

ثم رسم الباحث خطة ممتازة دالة على العناصر الرئيسية وما يندرج تحتها من محاور ويلتئم من فروع ومسائل؛ خطة سليمة هي أشبه برسم مهندس بارع لبناء معماري شامخ، وتتضمن :

ـ تمهيداً، تتأكد الحاجة إليه وتفرضه طبيعة الموضوع .

ـ وثلاثة أبواب تحمل العناوين الآتية :

ـ السنة سنداً ومتناً في المذهب المالكي .

ـ السنة الاستدلالية في المذهب المالكي .

ـ الاستدلال بالسنة الآحادية في المذهب المالكي .

ـ وخاتمة تتضمن نتائج البحث التي توصل إليها الباحث . وكانت ثمرة جهده وتدرجه في إنجاز مراحل البحث .

ـ وفهارس مختلفة تساعد القارئ على الظفر ببغيته بيسر وسهولة .

والأبواب المذكورة أعلاه يندرج تحتها خمسة عشر فصلاً، لكل باب فصوله المناسبة المرتبطة بموضوعه الأصلي .

سار الباحث في إنجاز بحثه حسب خطته المرسومة بمنهج علمي سليم، فكان يوثق معلوماته، وينتقل من المعلوم إلى المجهول، ويحلّل بموضوعية، ويستشهد بدقة وأمانة، ويدعم الحقائق بأدلتها، ويفند الشبَه المتهافتة .

وكل ذلك سيأخذ القارئ ويشده إلى البحث، خاصة إذا كان من ذوي الاهتمام بالشريعة وحركة الاجتهاد فيها، لإقامة بنائها من الفروع الفقهية التي يطبّق المكلّفون أحكامها التزاماً لمنهج دينهم، وإرضاءً لربهم العليم الخبير .